الخِطط العسكرية البرية والبحرية بالمغرب الأوسط

الأستاذة/ وردة العابد

جامعة قسنطينة 2

الملخص:

عرفت بلاد المغرب وخصوصا المغرب الأوسط نوعين من خطط القتال العسكري، منها خطة قتال الصف التي تندرج تحتها سبعة أنواع من الفنون والمتمثلة في: الهلال المركب، الهلال المقلوب، المربع أو المستطيل، المعين، المربع المنحرف، المثلث، الدائرة.

خلال البحث نحاول إبراز النوع الدائري، والذي يظهر في القتال البري والبحري، بالإضافة إلى خطة قتال المدن والتي تعتمد على مبدأ الغارات فالهدف منها إضعاف الطرف المعادي للوصول به إلى الاستسلام، وهو الأكثر شيوعا في المغرب الأوسط لطبيعة العمران القائم بها.

إن طبيعة الرسالة المحمدية والمتمثلة في نزول القرآن الكريم بتشريعاته في وضع شرائع العبادات والمعاملات والأخلاق، وبجعله آخر رسالة سماوية للبشر لم تترك مجالا إلا وأبانته بياناً واضحاً في كيفية التعامل مع مختلف القضايا، سواء كانت سياسية أو إقتصادية أو الاجتماعية منها.

وفي بعض الأحيان يتعذر فهم بعض النصوص القرآنية وتطبيقاتها فكان المصدر الثاني للتشريع والمتمثّل في السنة النبوية بجميع حالاتها شارحة ومفسِّرة لتلك النصوص ومثال ذلك ما كان في أمر الصلاة فمعضم الآيات القرآنية حين ذكر الصلاة ترتبطها بالزكاة، كقوله تعالى:" وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة"[1]،

(1) البقرة: الآية43.

فجاءت السنة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم:" صلوا كما رأيتموني أصلي"[1]، وحتى بعد وفاته كانت هناك قواعد توصَّل بها علماء وفقهاء الأمّة إلى تقنين بعض القوانين باستعمال أركان التشريع الأخرى كالاجماع والقياس في كثير من القضايا التي استشكل على المسلمين كيفية التعامل معها.

يأتي على رأس هذه القاعدة قوله صلى الله عليه وسلم :"إرموا واركبوا"[2]، فقد دعا عليه أفضل الصلاة والسلام إلى تعليم الرماية وركوب الخيل إلى أبناء المسلمين لِما لها من فائدة تعود على الفرد بالدرجة الأولى في حمايته من المعتدين عليه في حلِّه وترحاله، أو في رد العدو الخارجي، فهما وسيلتان أساسيتان للمحافظة على سلامة الدعوة الإسلامية.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه إلى أهل حمص:" علِّموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية"[3]، إذن فالرماية وركوب الخيل والسباحة عناصر أساسية دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، والتزم كل من جاء بعدهم في ترسيخها وتعليمها للأبناء جيلاً بعد جيل.

فلا نجد في أي فترة من فترات التاريخ الإنساني لا يحسن استعمال السيف والخنجر في مواجهة أي عدو خارجي، وجاء تأكيد هذا العمل الميداني في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، فقد أشار عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الرماية أوّلاً لأنها قاعدة يمكن توفّرها لجميع رجال الأمة الإسلامية ثم جاءت بعد ذلك الإشارة إلى الركوب، وهو أن يملك فرساً وقد يتعذّر على البعض

---

(1) ابن حبان، محمد بن أحمد البستي: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م، ج5 ص503، باب فرض متابعة الإمام، رقمه:2131.

(2) ابن حنبل، أحمد: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1420هـ/ 1999م، ج28 ص532 ،رقمه: 17300.

(3) ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق: د.عبد الإله أحمد نبهان وآخر، مركز زايد للتراث والتاريخ العين الإمارات،ط1، 1425هـ/2004م، ص302.

للحصول على ذلك، ولذا جاء ذكر الرماية ثم الركوب، ومنها نخلص إلى أن رجالات الدولة الإسلامية كانوا يحسنون استعمال الرماية بجميع أنواعها فالقوس والرمح ثم آلات الحصار الكبيرة، والكثير منهم وليس كلهم يتقنون الركوب مع القتال بالسيف.

لم يختلف الأمر في بلاد المغرب منذ فتحه وصولاً إلى الأندلس وطرق أبواب جنوب فرنسا محاولة للوصول إلى القسطنطينية وفتحها وخاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر بزوال ملكها ودخول المسلمين إليها.

لكن الملاحظ خلال الحملات العسكرية على المغرب يلاحظ الاختلاف الجغرافي للمنطقة مقارنة مع المنطقة الجغرافية للمشرق، حيث يمتاز المغرب بالتنوع التضاريسي والمناخي فهناك الجبال والهضاب والسهول وكثرة الأنهار مع قسوة المناخ خاصة في فصل الشتاء بالإضافة إلى طبيعة العمارة البيزنطية التي كانت عبارة عن قلاع وحصون تمدد على الساحل البحري، فكيف تمكنت الجيوش الإسلامية إذن من الانتصار على الجيوش النصرانية وجيوش البربر الموالية لهم، وكيف كان القتال ما بين الإخوة في المغرب الأوسط بعد ذلك؟

أولاً: الخطط العسكرية البرية.

وقبل التفصيل وبيان كيفية وضع الخِطط، فإن ابن خلدون يقول عن الحرب:" هو أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل"[1]، وهذا الأمر وجد منذ الأزل لكن الإسلام رفع من مرتبة الحرب ومن مقاتليها وسماها جهاداً وجعل قَتْلاها شهداء ولهم مراتب عالية بحيث يشفع الشهيد في أربعين من أهله، ونوع هذه الحرب هي:" غضب لله ولدينه"[2].

(1)ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تقديم محمد الأسكندراني، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، 1425هـ/2005م، ص 254.

(2)ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 255.

لكن ما حدث في المغرب وبالخصوص بعد قيام الإمارات والدويلات يصف ابن خلدون الحرب بين هؤلاء أنها:" حروب بغي وفتنة"[1]، فكل الحروب التي قامت في المغرب خاصة منها البربرية كانت كلها تسعى إلى توسيع نفوذها في الأراضي الإسلامية على حساب الإخوة، وقد ذكرها كذلك ابن خلدون أنها:"غيرة ومنافسة"[2]، وهذا ما نلاحظه عند تتبع المصادر السياسية المغربية والأندلسية وحتى المشرقية منها.

وعند حديثنا عن الاستراتيجية والخطط العسكرية في بلاد المغرب يتضح المقام بين فترتين يجب تصنيفهما من حيث الغاية والهدف من قيام الحروب والمعارك، فالفترة الأولى فترة الفتح الإسلامي لمنطقة المغرب دون تحديد مصطلح المغرب وإفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، فإن الحملات العسكرية كان هدفها نشر الدين الإسلامي والوصول به إلى أقصى نقطة من الفتح، وكانت الخطة العسكرية تهدف إلى تحقيق النصر بتوفير مجموعة من الشروط والأسباب الواجب تحصيلها لبلوغ الغاية، وكذلك وضع خطة ثانية ثانوية في حالة الإنهزام وانكسار الجيش وهي ما يعبَّر عنه بالخطة الوقائية.

إن المسؤول الأول عن وضع هذه الخطط" هي الإدارة المكلَّفة برسم السياسة العامة وتخطيط القتال وتحديد حجم الجيش وتسليحه ووضع القوانين والأنظمة"[3]، ويمكن حصر الإدارة العامة في قائد الجيش الذي يحمل تفويضاً كلياً من الأمير أو الخليفة بالتقدم بالجيوش

وقد اتبعت الجيوش الإسلامية منذ وطأت أقدامها المغرب إلى تحديد العدو الأول الذي يملك قدرات عسكرية في العدد والعدَّة و إمكانيات الإمداد،

---

(1)ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 255.

(2)ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 255.

(3) هاروتر محمد رضا: فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول ρ، دار الفكر حلب سوريا، 1985م، ص 113.

فكانت بداية المعارك في المغرب على الساحل البحري موطن ومعقل البيزنطيين منذ حملات عقبة بن نافع إلى حسان بن النعمان ووصولاً إلى موسى بن نصير.

فقد قضى هؤلاء القادة على الوجود البيزنطي على طول الساحل البحري، من جهة البر، بإتباع خطة قتال نظام الصف وهذا ما حث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى:" إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص"[1].

ويعدُّ نظام الصف نوعاً من أنواع الزحف في القتال و" قتال الزحف تُرتّب فيه الصفوف وتسوّى كما تسوّى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم إلى العدو قُدُماً فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو لأنه كالحائط الممتد والقصر المشيَّد لا يُطمع في إزالته"[2].

وقد أشار الأستاذ موسى إقبال رحمه الله أن العرب لم يمارسوا " قتال الصف أو الزحف إلا في نطاق محدود"[3]، وقد يرجع ذلك إلى مجموعة من الأسباب والفرضيات أولها المنطقة الجغرافية لبلاد المغرب والتي تعرف تبايناً في التضاريس فهي مناطق غير مكشوفة ولا محدَّدة في المساحات حيث يصعب فيها توزيع الجيش توزيعاً متماثلاً.

لذا نجد القائد يعتمد أثناء اللقاء الأول إلى خطة القتال بالصف وتحديداً بالزحف، فإذا لاحظ أن العدو يتراجع إلى الوراء محاولاً الهروب والاختباء في المناطق المحصَّنة وهي الطبيعة العمرانية لمدن المغرب نجده يقطع خط الرجوع بجعل الفرقة الثانية أو الكتيبة تقوم بذلك للحيلولة دون تحقيق رغبة وهدف العدو.

---

(1) الصف: الآية 04.

(2)ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 255.

(3)إقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الزطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981م، ص 137.

فحين لقاء عقبة بن نافع مع الروم وحلفائهم من البربر زمن ولاية يزيد بن معاوية في إقليم تيهرت زحف عليهم وبعد قتالهم "فرَّق جمعهم وسبقهم خيل المسلمين إلى باب مدينتهم فأفنوهم وقطعوا آثارهم"[1].

إن عملية إفناء الروم وأنصارهم من البربر فيه دلالة واضحة أن فرق الإستطلاع قد تمكنت من إعطاء القائد العام المعلومات الأساسية والصحيحة والدقيقة، وغير مستبعد أنها جُمِعت من خلال مساءلة التجار أو الدخول إلى منطقة العدو لمعرفة أحوالها أو الاستفادة من المعلومات التي تقدِّمها القبائل المعادية للروم.

ويأتي بعد ذلك الاستطلاع التكتيكي "ويكون بتأمين الأعمال القتالية أثناء المعارك ويكون في حدود الأرض التي تحيط بمنطقة القتال"[2].

وبهذا الشكل يمكن تحقيق النصر عند تضافر عدة جهود من فرق الاستطلاع الأولية الإستراتيجية والتي تعمل "عناصره في عمق العدو وعلى أرضه"[3].

ويُعد هذا نموذجاً خطة عسكرية في فترة زمنية معيَّنة من تاريخ المغرب كان الهدف الأول فيها للقائد وجنوده هو بلوغ الشهادة في سبيل الله في نشر الإسلام وطرد أعدائه.

ويمكن استخلاص مما تقدَّم أن خطة الاستطلاع كانت القاعدة الأساسية التي لا استغناء عنها لنجاح خطة قتال الصف فهي لازمة لها من أجل تحقيق النصر.

---

(1)ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولن وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت لبنان، ط3، 1983م، ج1 ص 35.

(2) هاروتر محمد رضا: المرجع نفسه، ص 154.

(3) هاروتر محمد رضا: المرجع نفسه، ص 154.

وعرفت منطقة المغرب خلال القرن الثاني للهجرة(السابع الميلادي) قيام العديد من الإمارات منها الإمارة الرستمية وإمارة الأدارسة، ومن جملة أسباب قيامهما هو الهروب والخوف من بطش العباسيين، فوجد رجالاتهما في بلاد المغرب مستقراً طيّباً تمكنوا فيه من جمع وتوحيد الكثير من القبائل البربرية التي ساندتهم وكوّنوا إمارات لها سلطات سياسية وحدود جغرافية وتنظيمات عسكرية.

وخاضت هذه الإمارات مجموعة من المعارك والحروب ما بين القبائل المجاورة لها وبعض الخارجين عن سلطانها وتنظيماتها القانونية، ففي ولاية أفلح بن عبد الوهاب (180-240هـ/796-854م) أظهر خلف بن السمح العصيان عليه بعد وفاة أبيه وتوليه الحكم، فقد شنَّ الغارات المتصلة على كل من عقد الطاعة للإمام أفلح، وكنتيجة حتمية للأعمال التجاوزية فقد قام أبو عبيدة عبد الحميد سنة 211هـ/826م بوضع خطة عسكرية اعتمدت على "نظام الصف"[1].

وقد أظهر أحد العساكر الشجعان براعته أثناء تنفيذ الخطة حيث قام " بضرب في أعراض الخيل وبكشفها يميناً وشمالاً وقد حمى الميمنة والقلب والميسرة"[2] وتعرف هذه الطريقة القتالية في النظام العسكري بنظام الخميس والمتكوّن من المقدمة والساق والميمنة والميسرة والقلب.

غير أن الشيء الملاحظ من النص الخبري انعدام ذكر لفظ الساق، فما سبب ذلك؟ إن عساكر وجنود أبي عبيدة عسكروا بعيداً عن الجبل مما يعني أن

(1) أبو زكريا يحي بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط2، 1402هـ/1982م، ص 134.

(2) أبو زكريا يحي بن أبي بكر: المصدر نفسه، ص 135.

مؤخرة الجيش الممثّلة في الساق هي الجبل وهو مكان إقامة العسكر، لأن الساق هي "الوحدات المكلّفة بتقديم الوسائط المادية إلى التشكيلات المقاتلة، ومن وظائفها الحراسة والتموين ومقر القيادة وعناصر التمريض"[1].

فبحكم قرب المعسكر من الجبل فلا حاجة إلى وجود الساق، أما المقدمة فيرجع عدم ذكرها إلى لجوء القائد العام إلى تنظيم القتال بطريقة ثلاثية[2] ، ونفس خطة القتال نجدها عند الموحدين، ففي "الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة خمس وست مائة في قتالهم مع الشيخ أبي حفص ملك إفريقيا حيث تراءا الجمعان بواد أبي موسى فاقتتلوا قتالاً شديداً ودخلت الميمنة في الميسرة والميسرة في الميمنة والقلب في القلب"[3].

إن خطة القتال الثلاثية التي تم ذكرها هي إحدى الخطط السبع[4] المعتمدة عند المسلمين في تاريخهم العسكري والتكتيكي والاستراتيجي.

والجدير بالذكر والملاحظة أن غياب الساق في التنظيمات العسكرية ما بعد القرن الثاني الهجري(السابع الميلادي) مرده إلى مجموعة من الأسباب والعوامل لعلّ أهمها هي نشوء الحواضر وقربها من بعضها والتي كانت تستعمل كقواعد للإمداد والتمريض وكذلك استغناء الجيش عن العنصر النسوي في التمريض، لأنه لم يعد جهادًا بل عدواناً كما جاء على لسان ابن خلدون.

---

(1) هاروتر محمد رضا: المرجع نفسه، ص 263.

(2) هاروتر محمد رضا: المرجع نفسه، ص 263.

(3) الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق:د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة القاهرة، ط2، 1980م، ص 604.

(4) تنحصر الخطط السبعة في شكل هلال، الهلال المركّب، المربع أو المستطيل، الهلال المقلوب، المعيّن أو المربع المنحرف، المثلث، والدائرة. الرفاعي أنور: الإنسان العربي والحضارة، دار الفكر بيروت، 1970م ص262.

عرفت مدن وحواضر المغرب في العصر الوسيط خطة قتال المدن، فكان بناء المدينة أو الحاضرة يخضع إلى شرط أساسي وعنصر حيوي وهو الحماية من الأخطار الخارجية، فقد ذكر ابن خلدون أنها "تكون على هضبة متوعِّرة من الجبل، وإما استدارة بحر أو نهر"[1].

ومعظم مدن المغرب القديمة أو المستحدثة في العصر الوسيط امتازت بهذه الخصائص ومثالها مدينة قسنطينة[2].

فقد كانت واقعة تحت وطأة ووقع "الغارات"[3]، وهي خطة عسكرية أولية لقتال المدن المحصّنة تهدف إلى إضعاف العدو من الناحية الاقتصادية بتخريب مصادر المواد الأولية من الحبوب والثمار وحتى الثروة الحيوانية حيث تقل الإمدادات على المنطقة المحصّنة وباستمرار الحصار يمكن الوصول إلى الاستسلام أو إلى خوض المعركة مع الجهة المعادية خارج المدينة، وبالتعبير العسكري هي "استدراج القوات المحصّنة للخروج من المناطق المحصّنة"[4].

ففي القرة الثامن للهجرة(الرابع عشر الميلادي) فإن التنافس السياسي والتوسع الجغرافي فيما بين المرينيين والزيانيين والحفصيين ووقوع حاضرة قسنطينة في حيز التنافس شهدت ضواحيها قتالاً مريراً ما بين الإخوة الفرقاء من الحفصيين والمرينيين، حيث زحف موسى بن إبراهيم صاحب مدينة بجاية على ضاحية من ضواحي مدينة قسنطينة سنة 756هـ/1355م، في قتالهم مع

---

(1) ابن خلدون: المصدر نفسه، ص 323.

(2) قسنطينة: حصينة في غاية المنعة والحصانة لا يعلم بإفريقيا أمنع منها... وهي على قطعة جبل منقطع مربع فيه بعض الإستدارة لا يوصل إليه من مكان إلا من جهة باب بغربيها ليس بكبير المناعة. الحميري: المصدر نفسه، ص480-481.

(3) ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار صادر بيروت،[د ت ط]، ج6، ص532.

(4) هاروتر محمد رضا: المرجع نفسه، ص 201.

رجالات من سدويكش من أولاد المهدي بن يوسف، فلما "شارفوهم ركبوا إليهم فتقدّموا ثم أحجموا واختلّ مصافهم وأحيط بهم"[1].

إن اختلال نظام الصف لحامية موسى بن إبراهيم جعل الجيش الزاحف يُنفِذ خطة الدائرة وهي إحدى الخطط السبع سالفة الذكر، ولذا فإن خطة القتال الأولية في جميع المعارك تكون بنظام الصف مهما كان الموقع الجغرافي، ثم يتحوّل القائد العام إلى الخطة الثانية وفق المعطيات على واقع مجريات الأحداث الحقيقية لأرض المعركة ولن تتعدّى الخطة إلا أن تكون ضمن نظام الخطط السبع المعروفة والمعتمدة.

ثانياً: الخطط العسكرية البحرية.

يُعرف البحر الأبيض المتوسط، في حقبة التاريخ الوسيط، في المصادر الجغرافية والتاريخية والسياسية، ببحر الروم، ويُعدُّ نقطة اتصال ما بين ثلاث قارات، وهو موطن العديد من الحضارات، وشهدت سواحله سواء الجنوبية منها أو الشمالية وحتى الشرقية قيام حضارات قديمة وعريقة.

تمكنت الجيوش الإسلامية منذ أواخر القرن الأول الهجري(ق7م)، الوصول إلى بحر الروم بهدف الجهاد في سبيل الله، بعد أن توطّدت دعائم الدولة الإسلامية واتسعت رقعتها، ولم يصبح بحر الروم بحيرة إسلامية إلا في القرن الثالث الهجري(ق9م) وأصبح الروم يحسبون لأهله ألف حساب بسبب قوته العسكرية المتمثِّلة في الأسطول البحري.

وقد عزز هذه القوة الوجود الفاطمي في بلاد المغرب ودون مبالغة "بأن الفاطميين كانوا أعظم دول الإسلام اهتماما بشؤون البحر بعد الأمويين"[2].

---

(1) ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر، مصدر سابق، ج6، ص539.

(2) مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية بيروت لبنان، 1981م، ص63.

وشهد بحر الروم منذ أواخر القرن الأول الهجري(ق7م) إلى غاية القرن العاشر الهجري (ق16م)، تبايناً ما بين القوة والضعف فيما بين الكيانات السياسية القائمة على سواحله، وتمكنت في هذه الفترة القوة البحرية الإسلامية من ردِّ العديد من الهجمات التي شنتها القوى البحرية النصرانية التي كان هدفها السلب والنهب والقرصنة بإقامة دور صناعة السفن على امتداد سواحل الحواضر الإسلامية والتي كانت منها حاضرة بجاية[1] ومدينة عنابة(بونة)[2] ومدينة شرشال[3] والمرسى الكبير[4].

وعُرفت هذه المدن ببناء السفن أو القطع البحرية كما تذكرها المصادر فكان منها التجاري والحربي، ولم تعرف القطع الحربية نوعاً واحداً بل كانت على عدة أنواع لكل نوع منها كانت له وظيفة خاصة بها، وكان منها: الغراب[5]، الشيطيات[1]، المسطحات[2]، الزوارق[3] والطرّادات[4].

---

(1) بجاية: أن أهل بجاية على قدر عظيم من الغنى يسلِّحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ إسبانيا. ابن الوزان حسن: وصف إفريقيا، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 2005م، ص422.

(2) بونة: كانت مركزا لصناعة السفن وإصلاحها، حيث بلغت قدرة إستيعابها للسفن مئتي سفينة. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان[د ت ط]، ج1 ص512.

(3) شرشال: ميناؤها يعدُّ من الموانئ التي اعتمد عليها الزيانيون في المبادلات التجارية مع الدول الأوروبية كجنوة ومرسيليا، لكن ظهورها كمركز لصناعة السفن كان منذ مجيئ عروج وبربروس. كربخال مرمول: إفريقيا ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة الرباط المغرب،[د ت ط]، ج2 ص357.

(4) المرسى الكبير: مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان... إذ تستطيع مئة سفينة ومركب أن ترسو فيه بكل راحة في مأمن من كل عاصفة أو زوبعة. إبن الوزان: المصدر نفسه، ص 400.

(5) الغراب:من المراكب الحربية شديدة البأس وقد اعتمدت على المجاديف والأشرعة. الجعماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2012م، ص 61-62.

وعلى غرار هذه الأنواع واستعمالاتها تكون تعبئة الأسطول في المعارك الكبرى أما أسلوب القتال بهذه القطع الحربية فكان بطريقة الخميس مثلها في ذلك طريقة القتال في البر، فقد كان هناك "قلب وجناحان ومقدمة ومؤخرة، وتصطف السفن إما على هيئة نصف دائرة، حتى إذا حاول العدو الاقتراب منها أحاطت به وحطَّمته، وإما أن تصطف صفوفاً مستقيمة لتنطح مراكب العدو باللِّجام وتفرِّقه"(5).

والملاحظ أن خطط القتال في البحر لا تختلف عن مثيلاتها بالبر، فالخطتين، خطة قتال الصف وخطة قتال الدائرة هي من ضمن الخطط السبع سالفة الذكر.

وكنموذج لخطة بحرية جرت أحداثها بين ضفتي بحر الروم ما وقع في الجزائر الشرقية منه (جزر البليار) وبالتحديد أكبر جزيرة فيها هي جزيرة ميورقة، والتي تم فتحها سنة 290هـ/902م، وتعاقب على حكمها مجاهد العامري، أمير دانية بالأندلس، ثم المرابطون وبعدهم الموحّدون، حيث وقعت سنة 623هـ/1226م، معركة بحرية قادها ابن الوالي أبو يحي التنملي بالجزيرة اليابسة وهي إحدى الجزر الشرقية (جزر البليار) ضد النصارى معتمداً في

---

(1) الشيطيات: (م. شيطي) وهو عادة ما يتخذ للإستطلاع ونقل الأخبار على رأساء الأساطيل بفضل صغر حجمه واستخدامه المكثف للمجدفين. الجعماطي: المرجع نفسه، ص65.

(2) المسطحات: هي سفن كبيرة تبحر خلف المراكب الصغيرة لإنقاذها في حالة الخطر. الجعماطي: المرجع نفسه، ص71.

(3) الزوارق: مراكب بحرية صغيرة تم استخدامها في حالة الطوارئ مثل إنقاذ الأنفس من الغرق أو في حالة الفرار من العدو عن طريق البحر. الجعماطي: المرجع نفسه، ص60.

(4) الطرّادات: (م. طريدة أو طرّادة) وهي سفن صغيرة سريعة الحركة خصصت لحمل المقاتلين والذخائر والمؤن وحتى الخيول في حالة الحرب. الجعماطي: المرجع نفسه، ص 69.

(5) زغروت فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة، ط1، 1426هـ/ 2005م، ص 295.

أسطوله البحري على مجموعة من القطع الحربية أساسها الأغربة، أما قطع النصارى الحربية فكان مضافاً إليها المسطّح.

ودليل ذلك ما ذكره ابن عميرة المخزومي في قوله:" فدنا السّواد من السّواد"[1] واعتمد في قتاله على خطة التناطح المذكورة آنفاً، حيث "ظهر المسلمون عليه[على المسطّح] ظهوراً بيّناً، وقدَّروا الظفر به هنياً هنياً"[2]، غير أنه تمكّن من الفرار بعد الالتحام وتناطح المراكب وظهور المسلمين عليه، في لحظة غفلة منهم "وكاد يغرق بقلقه ... ووجد المسطّح فترة فنسل وانسلّ"[3].

ونخلص مما سبق ذكره أن المسلمين قد أتقنوا فن القتال البحري كما أتقنوا فن القتال البري، حيث تمكنوا من دحض الهجوم الصليبي المتكرر على سواحل البحر لفترة طويلة امتدت عدة قرون، كما أن الخطط العسكرية البحرية تحتاج إلى دراسة بعد دراسة التراث غير المحقق في القضايا العسكرية، زد على ذلك الإطلاع على المادة الخبرية الموجودة في الضفة الأخرى، وبعدها يمكن البدأ في وضع لبنات دراسية حول هذا الموضوع.

---

(1) ابن عميرة أحمد، أبو المطرّف المخزومي: تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق: د. محمد بن معمر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ص 71.

(2) ابن عميرة أحمد: المصدر نفسه، ص 71.

(3) ابن عميرة أحمد: المصدر نفسه، ص 71.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الوزان حسن: وصف إفريقيا، ترجمة: د. عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.
3. ابن حبان، محمد بن أحمد البستي: صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م.
4. ابن حنبل، أحمد: المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة بيروت، ط2، 1420هـ/ 1999م.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تقديم محمد الأسكندراني، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
6. ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
7. ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولن وليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت لبنان.
8. ابن عميرة أحمد، أبو المطرّف المخزومي: تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق: د. محمد بن معمر، دار الكتب العلمية بيروت.
9. ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن: تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس، تحقيق: د.عبد الإله أحمد نبهان وآخر، مركز زايد للتراث والتاريخ العين الإمارات.
10. أبو زكريا يحي بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان.

11. الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق:د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة القاهرة.

12. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر بيروت لبنان.

13. كربخال مرمول: إفريقيا ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة الرباط المغرب.

المراجع:

1. الجعماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية بيروت.
2. الرفاعي أنور: الإنسان العربي والحضارة، دار الفكر بيروت.
3. إقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.
4. زغروت فتحي: الجيوش الإسلامية وحركة التغيير، دار التوزيع والنشر الإسلامية القاهرة.
5. مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية بيروت لبنان.
6. هاروتر محمد رضا: فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول ، دار الفكر حلب سوريا.